كتاب

قادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه

لشيخ جلال الدين السيوطي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى **سئل** والده رحمه الله تعالى عن العمر هل يزيد وينقص من الزيادة إلى الموت ومن الموت إلى البعث وما تفسير قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده وقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير **فأجاب** الأجل المقدر من الأزل لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر فتظاهرت على ذلك جملة من الآيات الشريفة والأحاديث المنيفة الصحيحة وأقاويل العلماء في الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا وقوله عز وجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله عز من قائل ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها وقوله جلت عظمته إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ومن الأحاديث الصحيحة ما رواه ابن مسعود وأم حبيبة رضي الله تعالى عنهما زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سألت الله تعالى لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولن يحل الله شيئا قبل أجله

ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب النار ومن عذاب القبر كان خيرا وأفضل ومنها ما روي أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل ملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسين ليلة فيقول يا رب أشقي أم سعيد فيكتبان فيقول أي رب أذكر أم أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص فمن هذا وغيره خرج الملك بالصحيفة ولهذا قوله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه **فقد أجاب** العلماء عن ذلك بأجوبة أصحها أن هذه الزيادة والبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك والثاني أنها بالنسبة إلى ما يظهر في اللوح المحفوظ فيظهر لهم أن عمر فلان مثلا ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له إلى ثمانين وقد علم الله ما ينتج له ذلك علما أزليا وهو معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وبالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره لا زيادة ولا نقص فيها باعتبار هذين التخيلان والثالث أن المراد بقاء ذكره بالجميل وكان لم يكن وأما قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده فذكر المفسرون في ذلك وجوها أحدها أن الأجل الأول ما بين الخلق إلى الموت والثاني ما بين الموت والبعث فإن الأجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لمدتها والثاني أن الأول النوم والثاني الموت وما فيها إذا الأول الذي يتوفى والثاني الذي لم يأت وأما قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت ففيه أقاويل كثيرة منها أن المعنى بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء أن يوقعه بأهله في وقته فإنه إذا وقع انقضى فيمحى ذلك ويثبت أي يؤخره إلى وقته ومنها أن معنى يمحو ينسخ ما يستصوب من الأحكام ويثبت

ما يقتضي ثوابا او عقابا وقيل محو قرنا وثبت آخرين وقيل
غير ذلك من الاقوال التي يطول ذكرها واما ما قال عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما من ان لكل احد اجلين احدهما الى
الموت والآخر من الموت الى البعث فان كان برا تقيا وصولا
للرحم زيد له من اهل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا
للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث فقد نقل عنه
ايضا ما يخالف هذا وهو انه قال محو الله ما يشاء وثبت الا
الخلق والخلق والسعادة والشقاوة والاجل والرزق
وعن مجاهد يحكم الله امر السنة في رمضان فيمحو ما يشاء ويثبت
الا الحيوة والموت والسعادة والشقاوة واما تفسير قوله
تعالى ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره فالعمر لا ينقص من عمر
العمر على ان الضمير للطول المعمر لذلك العمر بعينه لما يقال
لزيد ونصف فان المراد نصف نهار اعرضا نصف ذلك اليوم
المستقيم ذكره اي ولا ينقص من عمر شخص من اعمار امثاله بمعنى
ولا يحصل عمر شخص ناقصا عن عمر امثاله وقد ذكرت في هذا
الجواب بعض الاحتمالات اسعافا للسائل بما التمس من بسط القول
والافالوصية تبين اشياخا بالاختصار في الاقتصار بغية
من الزيادة وفي هذا القدر كفاية والله تعالى اعلم واقول
قد تظافرت الاحاديث والآثار عندي على زيادة العمر
ونقصه بالنسبة الى ما كتب في اللوح المحفوظ او ترى الى
الملائكة بالنسبة الى علم الله تعالى والمحو من الوالد كيف
يتم الحكم بالزيادة والنقص من حيث البركة وفعل الطاعات
ونحوها ومنعه من حيث الحقارة وعلل المنع بانه مقدر من الازل
وعلم الله تعالى ازلي لا يتغير وليس ذلك خاصا بهذه الجزئية
من هذه الجزئية لم يتقبل التغيير فاذا علم الله تعالى يجيء الآتي

ازلي

اذلي واما محل النزاع بالنسبة الى صفة الافعال الحادثة
التي تتعلق بالخلق كالمحو الناشئ من الذات القديمة التي
هي العلم فطاعات العباد وعصيانهم وسائر افعالهم اذا
نظر اليها من حيث ما علم الله تعالى في الازل وقوعه منهم
فانه لا يقبل الزيادة والنقص وكذا امر الرزق والسعادة
والشقاوة وكل شيء فاذا نظرت الى ذلك من حيث خلق الله
تعالى اياه الذي هو من صفات الافعال قبل التغيير والتبدل
وهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في دعائه اللهم
ان كنت كتبتني عندك شقيا فامحني واكتبني سعيدا فانك
تمحو ما تشاء وتثبت فانظر الى قوله ان كنت كتبتني عندك
شقيا ولم يقل ان كنت شقيا والله اعلم بالصواب
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما
الى يوم الدين
امين

كما
تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي
للشيخ جلال الدين
السيوطي

شبكة الألوكة www.alukah.net